العـــدد 20A شباط 2026
No.20A Feb. 2026
المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254

زيارة الناحية بين جدل الصراع وترسيخ الوعي المجتمعي

م.د. محسن بدر مارد
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) الجامعة / أقسام ذي قار
mhsnbdrmard@gmail.com

الملخص :

لم يكن يوما الموروث الحضاري مجرد بقايا من الماضي البعيد ، بل هو عامل حيوي يسهم في إحياء المجتمع وتعزيز هويته وتماسكه , عبر الحفاظ على الموروث الحضاري ونقله إلى الأجيال المتعاقبة ، إذ يمكن للمجتمعات أن تبني على تاريخها وثقافتها لتحقيق التنمية المستدامة والازدهار , والموروث الحضاري هو مجموعة من العادات والتقاليد والقيم والمعارف التي تنتقل من جيل إلى جيل، ويشتمل الجوانب الثقافية والدينية والاجتماعية والفنية , التي تمثل الأدوار الرئيسية التي يلعبها الموروث الحضاري في إحياء المجتمع , ويُعَدُّ الموروث الحضاري عنصرًا حيويًا يسهم في إحياء المجتمع عبر تعزيز الهوية والانتماء، ونقل القيم والمعارف ، وتعزيز التماسك الاجتماعي؛ لتحفيز الإبداع في التوعية التعليمية ، وتعزيز الاستدامة البيئية وبناء السلم الاجتماعي , لذا فإن الحفاظ على هذا الموروث ونقله إلى الأجيال القادمة يُعد من المهام الأساسية ؛ لتحقيق التنمية المستدامة والازدهار المجتمعي , فضلا عن مهامه الهامة نقل القيم الأخلاقية الأساسية كالصدق، والأمانة، والتعاون، والاحترام وترسيخها في الوعي المجتمعي ، مما يسهم في بناء مجتمع متماسك متعاون رصين , فالموروث الحضاري هو أفضل تعبير عن هوية الأمم وذاتيتها الثقافية , إذ أنه مظهر من مظاهر الإبداع الفردي والجماعي للأمم عبر تاريخها الطويل , فهي تضمحل وتتفكك داخليا من دونه , أو قد تندمج ثقافيا في إحدى التيارات الحضارية والثقافية العالمية القوية , فالموروث نتاج لامتداد تاريخ الإنسان في تجارب ماضيه وعيشه في حاضره وإطلالته على مستقبله , إذ هو سند الأمم الروحي لأنها تستمد منه جذورها وأصالتها ؛ لذا تزايد الإدراك بالأهمية الكبرى والمسؤولية العظمى الملقاة على عاتق المجتمع ؛ لصون تراثه وحمايته للأجيال القادمة قدر المستطاع , فأي فشل في إنجاز تلك المهمة يعد قطع العلاقة بالماضي وحرمان أجيال المستقبل من هويتهم.

الكلمات المفتاحية: الناحية المقدسة, الصراع , الوعي المجتمعي .

Visiting the District: Between the Controversy of Conflict and the Consolidation of Community Awareness

Dr. Mohsen Badr Mard
Imam Al-Kadhim College (peace be upon him) University / Dhi Qar Departments
mhsnbdrmard@gmail.com

Abstract:

Cultural heritage has never been merely a relic of the distant past; rather, it is a vital factor that contributes to the revival of society and the strengthening of its identity and cohesion. This is achieved through preserving cultural heritage and passing it on to successive generations, enabling societies to build upon their history and culture to achieve sustainable development. Prosperity and cultural heritage are a set of customs, traditions, values, and knowledge passed down from generation to generation. This includes cultural, religious, social, and artistic aspects, representing the key roles that cultural heritage plays in revitalizing society. Heritage is considered, The cultural element is a vital

component that contributes to the revival of society by strengthening identity and belonging, transmitting values and knowledge, and promoting social cohesion; to stimulate creativity in educational awareness, promote environmental sustainability, and build social peace. Therefore, preserving this heritage and passing it on to future generations is one of the essential tasks for achieving sustainable development and societal prosperity, in addition to its important tasks of transmitting and instilling basic moral values such as honesty, integrity, cooperation, and respect in societal consciousness .To preserve and protect its heritage for future generations as much as possible, any failure to accomplish this task severs ties with the past and deprives future generations of their identity.
Keywords: sacred aspect, conflict, societal awareness

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله الصادق الأمين والمبعوث رحمة للعالمين وعلى اله وصحبه المنتجبين.

إذا كان وعي الشعوب لهويتها وتشكل حضارتها لا يتحقق إلا عبر مخاض عسير يتكاثف عند المحطات الكبرى في الوجدان والذاكرة الجمعية ليشكل إطارا لوعيها وإيديولوجيتها , فعاشوراء واحدة من تلك المحطات البارزة في التاريخ التي شكلت معلما مميزا في تكوين وعي التواقين الى إعلاء القيم الإنسانية التي جسدها الإسلام , إذ أنتجت أئمة ومصلحين حرصوا على نهج الاستقامة وسعوا الى تصويب مسار الأمة في لحظات استشعار خطر الانحراف , لذا تولدت الحاجة الى قراءة حدث عاشوراء قراءات متعددة بلغات معرفية تغني المشهد بمزيد من زوايا النظر , وتزيل النقاب عن مزيد من أسراره وخفاياه , فكانت الضرورة ملحة الى إعادة القراءة حدثا ودلالة ووسائل تعبير مستندا الى معطيات عدة منها ان الواقعة لم تقرأ قراءة واقعية , ولم يُفرد لها عمل نقدي مستقل يتحرى نصوصها ويتعرف على المزيد من خفاياها وأسرارها, فالغنى الذي تتمتع به المناسبة بما تحويه من رموز وشخصيات تستدعي مراجعة دائمة متكررة للنص العاشوري , وافتتاح آفاق جديدة لوظائفها وتعبيراتها وتجلياتها , وقد شاء الله تعالى ان يقيض أقلاما حرة للخوض في فصول هذه الواقعة الخالدة والكشف عن أسرارها وسبر أسبابها ونتائجها , فهي منعطف خطير في تاريخ الإسلام على وجه الخصوص , إذ تعد أعظم ما وقع من بلاء دنيوي على أي مجموعة أخرى من البشر خلال التاريخ البشري الطويل , ومن هنا كان ردّ فعلها المأساوي أعظم واجل من كل حادثة أخرى في العالم , إذ يعد استشهاد الإمام الحسين (ع) في كربلاء نقطة تحول هامة وتحركا في التاريخ الإسلامي , فمن كربلاء بدا الاتحاد بين الحركتين الدينية والسياسية بعلاقة جدلية شكلت بدايات وعي جديد لفعل ثوري جديد , بعدما تعرضت الأمة الإسلامية الى هجمة كان للمال والسوط أثره الكبير في تحديد وجهة السلطة , فعاشوراء دلالة لغوية دالة على التضخم اللفظي بسبب فيض المعنى التاريخي والرمزي واتساعه , إذ توفرت لهذا اليوم طاقة مضافة اتسعت شعبيته وعظمت دلالته الدينية , لتستعظم الحادثة في الوعي الجمعي الإسلامي , لينظر لها بوصفها جريمة تاريخية نكراء بحق الرسول (ص) وأهل بيته (ع).

لذا استدعت الضرورة النقدية دراسة زيارة الناحية والخوض في متونها بوصفها إحدى نصوص الواقعة الهامة التي اشتملت على توصيفات دقيقة جدا لمعظم جزئياتها , إذ ترجمت الزيارة أبعاد النهضة الحسينية العقائدية والفكرية والوجدانية , واستخلصت العبر والدلالات لتحقيق أهداف النهضة , لأنها تعد أهم المصادر وأدقها صورا ومحتوى وفكرا ؛ وذلك لإعطائها كامل الصور عما جرى في أحداث كربلاء , فهي كانت وما تزال المحرك الديناميكي للوجدان والوعي الشعبي , فالمضامين المرموقة والمثبوتة في متونها أضفت عليها سمة تؤكد أن زيارة الناحية المقدسة تعد أغنى وأثرى زيارة للإمام الحسين(ع)

تتعرض لمعظم تفاصيل الواقعة وجزئياتها, إذ نلحظ الدقة المتناهية في تلك التوصيفات التي رصدت حركة الإمام الحسين (ع) من موطنه الى ارض الوقعة فضلا عن التفصيل الدقيق عما جرى على أهل بيته في تلك الحادثة.

لذا جاء البحث بمقدمة وضح فيها أصداء عاشوراء في الوعي الإسلامي , ثم مفهوم الناحية بين المصطلح والمفهوم في المبحث الأول , ليأتي المبحث الثاني عن الناحية والوعي المجتمعي , وأخيرا يدرس البحث في المبحث الثالث صورة عاشوراء في منظور ألانا السادرة للزيارة , لينتهي البحث بخاتمة .

المبحث الأول

الناحية بين التسمية والمفهوم:

الناحية : الجمع نواح , وانحية ونواحي , الناحية : الجانب والجهة , هو في ناحية فلان : في كنفه , من هذه الناحية : من هذه الجهة , أما في المفهوم الاصطلاحي فقد ربط البعض مصطلح الناحية بعموم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) , إذ لم يقتصر على الإمام الثاني عشر " (عج")[1]حصرا , فهناك من يرى إنما يقصد به الإمام الحسن العسكري(ع), فقد ورد بإسناد متصل عن ابن المشهدي في (مزاره)عن الشيخ الطوسي عن ابن عياش عن ابن نعمان البغدادي ان هذه الزيارة خرجت من الناحية المقدسة على يد محمد بن غالب الأصفهاني الذي قال:(خرج من الناحية سنة اثنتين وخمسين ومائتين على يد الشيخ محمد بن غالب الأصفهاني)[2] وقد طرح محققو الشيعة احتمالات عدة حول إجاباتهم لهذا الموضوع , منها قول المجلسي في بحاره :(واعلم ان في تاريخ الخبر إشكالا لتقدمه على ولادة الإمام (عج) بأربع سنين ولعلها كانت اثنتين وستين ومائتين) , وتابعه على ذلك ابو فضل الطهراني بقوله : (والظاهر ان المراد من الناحية : الامام الحسن العسكري (ع) ... ذلك ان التاريخ المذكور سابق على ولادة الإمام المنتظر (عج) ببضع سنوات إذ كانت ولادته (عج) في 15 شعبان (255), هذا من جانب ومن جانب آخر يمكن ان نعد سنة 252هي تصحيف لسنة 262 كما احتملها المجلسي والبحراني[3] , ويرى البعض ان الناحية كان يشار بها الى الإمام علي الهادي (ع) , إلا إن الأعم الأغلب يرى ان هذا المصطلح قد اقترن بالإمام(عج) وصار سمة خاصة تدل عليه , إذ تسالمت المؤلفات الشيعية منذ القدم على انتساب زيارة الناحية الى الإمام الثاني عشر من الأئمة (ع) , اذ يرى الشيخ المفيد (413) أن : (زيارة اخرى في يوم عاشوراء برواية أخرى) , وهي تشير الى هذه الزيارة إذ بلغته عن طريق الرواية المنقولة عن الإمام المعصوم عليه السلام[4] , وكذلك نرى السيد المرتضى في كتابه (مصباح الزائر) يقدم هذه الزيارة على العديد من الزيارات المخصوصة بالإمام الحسين (ع)[5], أما ابن طاووس (646) يقول عن الناحية : (زار بها السيد المرتضى علم الهدى رضوان الله عليه , وانها مروية بأسانيد مختلفة)[6] , وقد صرح ابن المشهدي (595) إن : (زيارة أخرى في يوم عاشوراء لأبي عبد الله الحسين (ع) مما خرج من الناحية الى احد الأبواب), وهنا تصريح بائن ودال بان الزيارة تنتسب من جهة صدورها الى الإمام الحجة (عج) , وإنها مما خرج عنه الى احد نوابه الأربعة[7]) .

أما في مصادر الفكر الحديثة نجد الكثير منها قد صرحت بان الزيارة جاءت عن الإمام (عج) , اذ نلمس ذلك عند صاحب (الصحيفة المهدية) بقوله : (زيارة صدرت من الناحية المقدسة الى احد النواب الأربعة)[8], وقد أكد ذلك الشيخ القمي بقوله : كما وصفه ابنه الإمام المهدي (عج)) أي في زيارة الناحية[9].

لذا نستشف مما تقدم ان زيارة الناحية لها سابقة تاريخية تمتد جذورها ومرجعياتها الى الحقبة الزمنية للغيبة الصغرى , وهذا ما يؤكد حضورها في الموروث الإسلامي حضورا فاعلا .

فالناحية مصطلح تعارف عليه أنصار مدرسة أهل البيت (ع) عبر سفراء الإمام الحجة (عج) فهم الوسطاء ما بين الإمام وشيعته , إذ إن مهامهم وقعت ضمن أخذ التوقيعات والإجابات والفتاوى والردود وما يحتاجه الخاصة منه (عج), ولأجل ذلك وضحوا ان مصدر هذه المعلومات هو الإمام المهدي (عج) إذ أطلقوا عليه الناحية المقدسة ؛ وذلك للظروف الأمنية المشددة التي مارستها السلطة تجاه الإمام(عج)

التي سعت جادة وبشتى الوسائل الى التضييق التام على جل تحركاته , فضلا عن كل الممارسات التي انتهجتها مع ابائه (ع) , وكذلك انتشرت تعابير ومصطلحات كثيرة في كتب الحديث والفقه والتفسير يراد منها الامام المهدي (عج) , نجمل منها (دليل الناحية , دعوة الناحية المقدسة , سفير الناحية المقدسة) , اذ كان هذا المصطلح تعبير جرى استخدامه منذ الأيام الأولى من الغيبة الصغرى , والى جانب هذا المصطلح كان الموالون يعبرون عنه (عج) بتعابير أخرى , إذ يرمزون اليه (الصاحب , صاحب الدار, صاحب العصر , وولي الأمر) مراعاة للظروف الأمنية , اذ يسترعي ذلك تجنب التصريح باسم الامام (عج) حفاظا عليه من بطش السلطة وظلمها[10] .

لذا ارتأى الباحث دراسة زيارة الناحية لأهميتها بوصفها موروثا ثقافيا ساعد على الكشف عن تفاصيل ومجريات واقعة عاشوراء , فضلا عن التعرض لمجمل ملابسات الواقعة والظروف المحيطة بها , إذ إن ذلك قد أحاطه الإمام (عج) في هذه الزيارة بالرغم مما أثير عليها من شبهات وطعون , كما اشرنا إلا أن الناقد البصير المتفحص لمكنون مدلولها ودقة صورها وبلاغة اسلوبها تتضح له مكانتها وأهميتها في انصاع شمس حقيقتها, فقد انمازت بهذه المعان الفريدة العالية والأسرار العجيبة التي أغنتها عن دراسة أسانيدها[11] , بالرغم من وجود الدراسات الواعية التي تؤكد حضورها الصادق سندا ومتنا كما اشرنا.

ويسعى البحث إلى الخوض في متون زيارة الناحية للكشف عن الأنساق المضمرة الخفية التي يصعب على القارئ التوصل إليها مباشرة , والعمل على ربط تلك المعاني بالأنساق العقائدية والاجتماعية التي أنتجتها تلك الحادثة, والكشف عن معلمها السوسيوثقافي ومدى أثرها في وعي ووجدان المجتمع الإسلامي , فالناحية المقدسة تعد أهم مصادر الواقعة وأدقها صورا ومحتوى وفكرا , وذلك لتجسيدها كامل الصور الواقعة , واستخلاصها العبر والدلالات لإحقاق أهداف النهضة الحسينية , اذ كانت وما تزال المحرك الديناميكي للوجدان والشعور المجتمعي عبر تلك التوصيفات والصور الفنية الحية المنتقاة من ارض الواقعة المتوارثة عبر التداول ألمضموني عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) , اذ تعد نصوص الواقعة نابعة من فيض وجدانهم (ع) المتصف بالمصداقية والواقعية , فهم كما وصفهم الله تعالى : **(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهرهم تطهير)**[12], فقد أضفت هذه المدلولات في هذه الآية المباركة سمة التطهير من الرجس والوثنية وهي سمة أراد الله تعالى منها التأشير الى المقام والرفعة التي يتمتعون بها (ع) , وأيضا أكد المصدر التشريعي الثاني للدين الحنيف المتمثل بالرسول الأعظم (ص) في سنته بقوله : **(إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تظلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي)**[13], فتلك النصوص وغيرها تؤكد على قداستهم صلوات عليهم أجمعين , لذا فان ما وصل الى صاحب الأمر الإمام الحجة (عج) جاء عن أئمة أهل البيت (ع) من خلال التداول المضموني الذي توج مجموع المرويات العاشورائية بصورة زيارة الناحية المقدسة , التي ترجمت النهضة الحسينية بكل أبعادها العقائدية والفكرية والوجدانية و الإنسانية , إذ كانت الواقعة وما تزال منارا ونبراساً للمجتمع الإسلامي عامة والمجتمع الموالي لمدرسة أهل البيت (ع) خاصة .

المبحث الثاني

الناحية والوعي المجتمعي

زيارة الناحية من الزيارات التي حظيت بتأييد الفكر الأمامي ألاثني عشري سنداً ومتناً , بوصفها نصا دقيقا وهاما يعتد به , وذلك لوروده عن الإمام المعصوم كما اشرنا, فضلا عن دقة توصيفاته لجل أحداث الواقعة , إذ جسدت الزيارة الصفات الخاصة بالحسين (ع) وسيرته ونهجه قبل حركته من المدينة نحو نهضته , إذ بينت الأرضية التي مهدت لهما , وتعرضت الى الأساليب والمنهجيات التي سلكها الأمويين في تعاملهم مع الحسين (ع) , فضلا عن الإشارة الى المصائب التي انصبت عليه في كربلاء , فإضاءة نص الواقعة وكشف كل أركانه وتقديم حقائق متكاملة للمتلقي تعزز مصداقية هذا النص , بالرغم من محاولة الآخر المختلف تزييف وتشويه وتحريف وتغييب تلك الحقائق وتهميشها[14] , من خلال الإشارة الى الدور الذي لعبته السلطة الحاكمة في محاربة نهضة الحسين (ع) والممارسات الممنهجة التي حاولت

عبرها دفن أصداء الواقعة في رمال كربلاء ، فضلا عن تعرض المجتمع للتخدير الديني عبر العديد من الأفكار المظللة التي ساقتها السلطة لزعزت استقرار الوعي المجتمعي , إذ نلمس ذلك عند احد دعائم السلطة ووعاظها وهو(ابن عساكر*) الذي حاول ان يرجح القضاء والقدر ومشيئة الله تعالى في مروياته لواقعة كربلاء , ليبعد مسؤولية مقتل الإمام الحسين (ع) عن السلطة الأموية , إذ أكد ذلك في إجابة الحسين (ع) لمن يستفهم عن خروجه أو خروج عياله وأهل بيته من النساء معه الى العراق بقوله (ع) : **(شاء الله أن يراني قتيلا) أو(شاء الله أن يراهن سبايا)** , فابن عساكر وكما هو معروف ممن يحملون عقيدة الجبر التي تؤكد ان الإنسان مجبور غير مخير في أفعاله, وهي من الأساليب التي حاولت السلطة ترسيخها في وعي الأمة ؛ وذلك للعذر إليها عما جرى في كربلاء ,إذ صوُروا للناس أن القضاء والقدر كان السبب المباشر في مقتل الحسين (عليه السلام) وليس يزيد تأويلا لتلك المقولة الأنفة الذكر , فضلا عن ترسيخ دعائم سلطانها وديمومته عبر ذلك التظليل الممنهج, وقد حاول مريدي السلطة إلقاء اللائمة على أهل الكوفة في دعوتهم للحسين (ع) وخروجه على الخليفة , عبر الإشارة الى خذلانهم وتقاعسهم عن نصرته كما-يدعون- يقول الحسين(ع)**: (اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا)** ، وكذلك **قول علي بن الحسين (ع):(هؤلاء يبكون علينا فمن قتلنا)**[15] , إذ يرى الباحث أن معظم تلك المرويات هي من وضع أقلام السلطة , فقد حاولوا من خلال تلك الدعوة تبرئة ساحة السلطة الحاكمة والخلافة الإسلامية المتمثلة بسلطانهم القائم على الوراثة , ومن جانب آخر تعرض المجتمع الى القمع المادي الذي أدى الى الخضوع الطويل لاستبداد الحكام اللذين استحوذوا على كل ممتلكات الأمة الإسلامية وسعوا الى تجويعها وإذلالها ليقتصر إنفاقهم على المطيع والتابع والمؤيد لحكمهم ,اذ نجد ذلك جليا في خطاب ابن زياد الشديد اللهجة لأهل الكوفة في الدعوة للطاعة (... وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم ، وبالشدّة على مريبكم وعاصيكم ، وأنا متّبع فيكم أمره ومنفذ فيكم عهده ، فأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البرّ ، وسوطي وسيفي على مَن ترك أمري وخالف عهدي ، فليبقَ امرؤ على نفسه ، الصدق ينبئ عنك لا الوعيد), إذ كانت النهضة الحسينية النهج المتصدي لتلك المنهجية المنحرفة والمدافع المحامي عن الأمة الإسلامية كما وصفه الإمام (عج) **(كنت لعماد الدين رافعا,وللطغاة مقارعا...وللإسلام والمسلمين راحما ...وللدين كلئا, وعن حوزته مراميا...)**[15]

وكانت الواقعة تحظى قسرا بأهمية سياسية بالغة من السلطة الحاكمة ؛ لما أنتجته من ثورات متعاقبة أيقظت مضاجع سلطتهم, لذا حاولت السلطة تغييب الواقعة وتهمشيها وطمس معالمها بوسائل وطرق شتى , اذ كانت ماكينتهم الإعلامية اللاعب الأساس في ذلك , فقد جسد الإمام الحسين (ع) مفاهيم القران الكريم وتعاليم الدين الحنيف تجسيداً عمليا وواقعيا, عبر سعيه الدءوب لإحياء حاكمية القران الكريم وتجديد معالمهً , اذ يعد ذلك تأشيرا واعيا للأمة للوقوف بوجه السلطات الظالمة التي تتعارض وتعاليم الدين الحنيف و الأسس المحرفة التي بنيت عليها , لذا كانت وما تزال النهضة الحسينية عاملا أساسيا لقيام الثورات والانتفاضات التي أعقبت الواقعة, فهي الصدمة التي أعادة للأمة وعيها, ومسؤوليتها وإقدامها , إذ إن مرويات الوقعة انتقلت من الوعي التاريخي الى الوعي الاجتماعي الشعبي الذي وفر لها قوة سردية مضافة ساهمت في تشكل هوية الأمة , فقد أضفت حيزا للتكامل العاطفي والعقدي , ففي المرويات تتشكل غذاء الأمم وذاكرتها وعمقها الثقافي , إذ إن منظومة الأنساق المكونة لذهنية أي أمة من الأمم تظل كامنة في نصوصها الأدبية الرسمية والشعبية [16], لذا سعت السلطة جاهدة رفض انتشار أصداء الواقعة في أرجاء الأمة الإسلامية , فمارست كل أساليب القمع والاضطهاد للحيلولة دون ذلك , و كانت تلك الأساليب متبعة مع أئمة أهل البيت (ع) خاصة , فلم يستطع أحدا منهم (ع) أن يسرد أحداث الواقعة بمجمل تفاصيلها حتى الى الخاصة منهم , فضلا عن عامة المسلمين , إلا عبر بعض الممارسات والإشارات التي سعوا من خلالها الى توجيه الوعي الشعبي نحو الواقعة وما جرى فيها من أحداث مروعه اقترفتها السلطة بحق ابن بنت رسول الله (ص) , فبغض النظر عن الظروف التي أحاطت بالأئمة (ع) وتفاوت الأدوار والحقب الزمنية المتباينة بينهم , فقد سنحت الظروف للبعض القليل منهم الى نشر بعض عموميات الواقعة وبيان ما جرى على ابن بنت الرسول (ص) الى العالم الإسلامي , فقد جسد الإمام علي بن الحسين (ع) في حزنه الطويل وبكائه للتأشير الى المأساة التي عمدت إليها السلطة في الواقعة , ليكون ردة فعل رامزة إلى

التكتيم والتغييب لأحداث الواقعة , وهذا الأسلوب المنتهج من أهل البيت (ع) كان سمة بارزة في حياتهم للأسباب الأنفة ,إذ كان ذا أثرٍ فاعل في تثبيت الواقعة وتحصينها وإحيائها , ليكون أحد شعائر تلك الواقعة , وكان للفراغ السياسي بين سقوط الدولة الأموية وقيام العباسيين العامل المساعد عند الإمام الصادق (عليه السلام) في الدعوة الى إقامة المجالس التأبينية , التي قامت بأدوار بالغة الأهمية في الحفاظ على الواقعة بالعطاء النابض بالحياة , لتشكل مخزونا عاطفيا هائلا , يتناغم مع الجانب العقدي والتربوي في الحفاظ على هوية الأمة , فتلك الشعائر لم تفقد الحدث حضوره التاريخي ، بل أسهم بعضها في إعادة الواقعة بتفاصيلها مثل ما حدثت ، وهذا ما يعلل سبب عدم اندثار ما هو تأريخي وواقعي داخل ضبابية الميثولوجي وطقوسه كما أشرنا[15],

وكذلك أكد الإمام على عقد ندوات الرثاء عبر تشجيع الشعراء بالتعرض الى مجريات الواقعة , وحث الخاصة الى زيارة قبر الحسين (ع) من خلال دعائه لهم والترحم عليهم كما ورد عنه(عليه السلام): (**رحم الله تلك الوجوه التي غيرتها أشعة الشمس, ورحم الله تلك الوجوه التي تقلبت على قبر أبي عبد الله الحسين)**[16], أما الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) فقد دعى الى إشاعة ونشر السواد أبان هلال شهر محرم الحرام ؛ عبر منهجية رامزة للتأشير الى الواقعة الفضيعة ,إذ لم يستطع الإمام (عليه السلام) من بيان الظروف العصيبة التي تعرض لها الامام الحسين عليه السلام من السلطة الاموية ؛ وذلك بسبب التضييق والظلم المستدام الذي تعرض له من السلطة العباسية المتمثلة بهارون العباسي , فتلك الممارسات الاجتماعية التي أسس لها الإمام الكاظم (عليه السلام) جاءت لتقوية حضور الحدث التأريخي وإبراق ذاكرته بدلا من تغييبه ونسيانه [16]، ومن جهة أخرى نرى ملائمة الظروف الى الإمام الرضا (ع) في نشر العموميات المقيدة للواقعة وما جرى على الحسين (ع) , اذ حوت الكثير من المصادر على إشارات الإمام (ع) الى بعض صور الواقعة والآثار النفسية الناتجة عن تلك الصور المأساوية التي واجهها الحسين (عليه السلام) في كربلاء عبر خطابه الى ابن شبيب بقوله : (**إن يوم الحسين أقرح جفوننا وأسبل دموعنا وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلاء وأورثنا الكرب والبلاء الى يوم الانقضاء , فعلى الحسين فليبك الباكون فان البكاء عليه يحط الذنوب حطا ...)**[17] .فقد حاول الإمام ترسيخ البكاء والحزن لدى الوعي الشعبي, وهو تأشير واعي دال على المكانة العليا للنهضة الحسينية والدور الفاعل الذي مارسه الحسين عليه السلام , ,اذ كانت تلك الشعائر أهم الإستراتيجيات التي أعتمدها أهل البيت (ع) في إحياء وعي الأمة , والقاعدة التي يرتكز عليها حراكهم في الساحة السياسية والعقائدية روحياً وجهادياً, وقد ساعدت مركزية الامام الرضا (ع) في حكم المأمون العباسي الى اتساع فرصته للتعرض الى أحداث الواقعة المقيدة جدا, إذ انتهج الإمام عليه السلام منهجا ملائما عبر تشجيع الشعراء على رثاء الامام الحسين (ع) , ومنهم دعبل الخزاعي الذي انماز بأرفع مرثية للحسين (ع) والتي قال فيها :

أَفاطِمُ لَوْ خِلْتِ الْحُسَيْنَ مُجَدَّلا *** وَقَدْ ماتَ عَطْشاناً بِشَطِّ فُراتِ

إِذاً لَلَطَمْتِ الْخَدَّ فاطِمُ عِنْدَهُ *** وَأَجْرَيْتِ دَمْعَ الْعَيْنِ فِي الْوَجَناتِ

أَفاطِمُ قُومي يا ابْنَةَ الْخَيْرِ وَانْدُبي *** نُجُومَ سَماوات بِأَرْضِ فَلاةِ

قُبُورٌ بِكُوفان وَأُخْرى بِطيبَة *** وَأُخْرى بِفَخٍّ نالَها صَلَواتي

قُبُورٌ بِبِطْنِ النَّهْرِ مِنْ جَنْبِ كَرْبَلا *** مُعَرَّسُهُمْ فيها بِشَطِّ فُراتِ

تُوُفُّوا عَطاشاً بِالْعَراءِ فَلَيْتَني *** تُوُفِّيتُ فيهِم قَبْلَ حينِ وَفاتي

إِلَى اللهِ أَشْكُو لَوْعَةً عِنْدَ ذِكْرِهِمْ * سَقَتْني بِكَأْسِ الثَّكْلِ وَالْفَضَعاتِ

ونشف مما تقدم ان السلطة كانت مضيقة على أئمة أهل البيت عليهم السلام وخاصة ضمن أطار حدود الواقعة , وهذا ما نتج عنه غياب التفصيل الدقيق لمجمل أحداثها ؛ اذ يعد ذلك إحدى دعاوى التحريف

والتشويه والتزييف والتهميش التي تعرضت له الواقعة من أقلام السلطة ووعاظها, الا ان الظروف الخاصة التي أحاطت بالإمام المهدي (عج) عبر الغيبة الصغرى كان لها الأثر البالغ في نشر تفاصيل وجزيئات الواقعة عبر التداول المضموني الذي توارثه عن آبائه (ع) , والذي جسده عبر الزيارة المسماة بالناحية المقدسة , اذ كانت الغيبة أمانا له من السلطة وهذا ما يسر له التعرض الى مجريات الواقعة وما جرى على الحسين (ع) وعياله , إذ إن ما نقل عن أهل البيت (ع) من مرويات لأحداث الواقعة وصورها , لم تكن وضعا إنما نقل متوارث ما بينهم ابتداء من الإمام علي بن الحسين (ع) الشاهد الحاضر في الواقعة , حتى وصل الى آخر الائمة (ع) وهو الإمام (عج) الذي وصلت اليه مجمل تفاصيلها عن ابائه (ع) , ليترجمها ويصورها بصور دقيقة في معظم جزئياتها المؤثرة , فضلا عن التعرض الى مجمل الظروف التي أحاطت بالحسين (ع) ومجريات حركته ونهضته وبيان أدواره وأهدافه ومكانته في الأمة كما أسلفنا , فقد سعى الامام (عج) الى السير وفق الاتجاه الذي سار عليه آباءه في التأسيس لممارسات شعائرية حاولوا من خلالها المحافظة على آثار الواقعة , إذ واكب ما نص عليه اهل البيت (ع) بتوجيه الوعي الشعبي لتأسيس طقوس وشعائر وممارسات عدة , أرادوا من خلالها أشاعه الحزن والأسى ونشر السواد , عبر إحياء المجالس التأبينية في ذكرى عاشوراء , وتوجيه الخاصة الى زيارة قبر الامام الحسين (ع)[18] , فهذه الممارسات لها أثرها البالغ في المحافظة على واقعة عاشوراء , وهي إستراتيجية ناجحة دافع من خلالها الفكر الإمامي عن الواقعة , فضلا عن استحداث واختراع ممارسات وطقوس جسدت الواقعة , بغض النظر عن القبول والرفض للبعض منها .

المبحث الثالث

الواقعة في ضمير الأنا الساردة

لقد نظر الإمام (عج) الى جزئيات الواقعة وما سطره أولئك الثلة من ذراري الرسول (ص) , والصحابة الخلصالكرام من ملامح بطولية فريدة لماتحملوه من مصائب شداد, ألقت العبء الكبيرعلى الإمام (عج) لما تحسسته روحه الى تلك المشاهد المأساوية , اذ تصَور وجدانه غربة الحسين (ع) ووحدته , واستشعر عطش الحسين (ع)ولهفته على أطفاله , وتأسى حزنا وأسفا عل شهادة أولاده وإخوته وأصحابه وسبي ذراري آل الرسول (ص) , وما أدركه من الألم والحسرة على حرم الرسول (ص) , وما جرى عليهم من خلال ما صوره الإمام (عج) في زيارته عن مجريات الواقعة من اسر وهتك وتعسف وحرقة وألم السياط ولوعة الأيتام في كربلاء , إذ نلمس ذلك في وجدانه الذي لم يخف عن ذاكرته تلك الأحداث المروعة , لذا نجد في زيارة الناحية المقدسة الخطاب المفعم بالتأسف والتلهف والحسرة في قوله لجده الحسين (ع) : **(فلأن اخرتني الدهور , وعاقني عن نصرك المقدور , ولم أكن لمن حاربك محاربا ولمن نصب العداوة مناصبا , فلا ندبنك صباحا ومساء , ولأبكين لك بدل الدموع دماً , تأسفا على ما دهاك وتلهفاً , حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتئاب)**[19] , فهو العارف بحقه ومكانته وقداسته وهيبته ومقامه, فأننا نقف أمام بحر متلاطم من المعارف والحقائق والوقائع والشواهد التي تجسدت في تلك الزيارة حاول الإمام توجيه الوعي الجمعي نحوها, اذ كانت هذه المفاهيم والصور التي فاضت من لدن الإمام (عج) من أهم المسوغات في نبوغ الوعي الشعبي , لاستشعار تلك الممارسات التي نستنطقها من خطابه (عج) , اذ نستشعر الألم والحزن والبكاء والتأسف والحسرة على ما جرى على الحسين (ع) في تلك الواقعة , فهذا الخطاب المدوي المملوء بالحزن كان له الاثر البالغ في تحفيز الوعي والوجدان الشعبي للتعايش مع الواقعة, اذ نجد العزاء والبكاء صفة او سمة امتازت به ايام عاشوراء على مدى الدهر, إشارة لما جاء عنه :**(فلأندبنك صباحا ومساء)** وهو تأشير واعي لإظهار حالة الحزن التي جسدها الوعي الشعبي من خلال مسيرة العزاء أو نشر السواد إبان أيام عاشوراء وانتشار مجالس التأبين والعزاء والصدح بقصائد الرثاء والنوح والبكاء ,إذ إن إستراتيجية نص الزيارة ينطلق من تنبيه المتلقي للسياق الذي ينتمي اليه , وهي إحدى أنواع السيطرة الإجرائية التي يسعى لها المدون لتحقيق غايتين (القصد, الهدف) وهما مناسبتان مع

النمط الذي يجترحه الخطاب الجمعي[20] , فخطاب الحزن والبكاء كان غاية مرجوة لاستنهاض الأمة , ووسيلة ناجعة حاول الإمام (عج) من خلالها حشد الوعي الشعبي وتوجيهه نحو أصداء النهضة الحسينية , فالندب هو الذكر المستمر[21]الذي أكده (عج) باستمرارية الزمن **(صباحا ومساء)** لنلمس من ذلك التأشير لاستدامة الحزن والبكاء والعزاء لصاحب المصيبة وترسيخه في ذهنية الوعي والوجدان الشعبي, فان التأثير الوجداني للحادثة في العقل الجمعي يمنح الفرصة لابتكار ممارسات وسلوك شعبي من اجل تكريس الشعور العميق بها وممارسة طقوسها للحفاظ عليها , اذا يتضح البعد الشعبي الشيعي المتجدد حاضرا حتى وقتنا هذا[22]والى قيام الساعة , وهذا مصداق ما ذكرنا حول تأكيد أئمة أهل البيت عليهم السلام على تلك الممارسات الشعائرية , اذ كانت هذه الممارسات وما تزال تحظى بأهمية كبرى في استدامت حضور الواقعة في وعي ووجدان المجتمع الاسلامي بشكل عام والمجتمع الشيعي بوجه خاص , بينما نلحظ النقيض في بيعة الغدير بالرغم من مكانتها الهامة , اذ ضعف الوعي المجتمعي عن إحيائها , ونشر أصدائها آنذاك لنفس الأسباب الانفة الذكر , مما جعل تلك البيعة بعيدة نوعا ما عن الوعي المجتمعي قياسا بواقعة الطف , لذا كان وما يزال العزاء الحسيني نسقا شعبيا لا يمكن التقليل من شانه ومن نتائجه ؛ لأنه يعمل على تعزيز التلاؤم مع المبادئ والقيم والمفاهيم التي يفرزها, والتي يمكن ان تتخطى الواقع وتخترق النظم المسيطرة وتتخذ مواقف مقاومة وضغط ملائم[23] , اذ ان ما أفرزته تلك الشعائر وما حققته تلك الممارسات من الاحتفال التأبيني ومسيرات العزاء والسير على الاقدام لزيارة الحسين (ع) في زيارة الاربعين ومشاهد التمثيل البدائي للواقعة (التشابيه) , والمجالس التابينية , لم تحققه الدراسات الاكاديمية والمؤتمرات العلمية او المناظرات الفكرية والمكتبات الادبية والفكرية برمتها بقدر ما حققته تلك الطقوس والشعائر, فقد جسدت هذه الممارسات تراجيديا الوقعة في كل تفاصيلها تجسيدا عمليا , ونشرت اصدائها الى ارجاء المعمورة بالرغم من كل محاولات اعداء مدرسة اهل البيت (ع) للتقليل من شأنية الواقعة أو تلك الممارسات الشعائرية , فإن تعدد الصور المأساوية الي جسدتها تلك الزيارة خير دليل على ذلك , اذ نلحظ السعي الجاد الى التدقيق في التصوير لأدق جزئيات الواقعة وما جرى على رموزها وشخصياتها , اذ نلمس دقة التصوير من خلال تأبين الامام (عج) للحسين (ع) بقوله : **(السلام على الجيوب المضرجات, السلام على الشفاه الذابلات , السلام على النفوس المصطلمات , السلام على الارواح المختلسات , السلام على الاجساد العاريات , السلام على الجسوم الشاحبات , السلام على الاعضاء المقطعات , السلام على الرؤوس المشالات)**[24] , لذا كانت تلك الممارسات من دواعي تعجيل إنتقال صور الواقعة الى المنظومات الثقافية والإجتماعية , الامر الذي أستدعى إبتكار الوعي الشعبي لآليات سردية لتحصين مروياتها وإنعاشها في ذاكرة الأمة , وتعالق الأفراد بها وجدانياً , فالطقس (ليس نظاماً من الإيماءات التي تترجم الى الخارج ما تشعر به من إيمان داخلي , بل هو أيضا مجموعة من الأسباب والوسائل التي تعيد خلق الايمان بشكل دوري , ذلك ان الطقس والمعتقد يتبادلان الاعتماد على بعضهما بعضاً , فرغم ان الطقس يأتي كناتج لمعتقد معين فيعمل على خدمته , إلا إن الطقس نفسه ما يلبث حتى يعود الى التأثير على المعتقد فيزيد من قوته وتماسكه بما له من طابع جمعي يعمل على تغيير الحالة الذهنية والنفسية للأفراد وهذا الطابع هو الذي يجدد حماس الأفراد ويعطيهم الإحساس بوحدة إيمانهم ومعتقدهم)[24]

فهذه الصور الفنية التي جسمت جسد الحسين (ع) وما جرى عليه من مصائب , أثارت في حفيظة الوعي المجتمعي مشاعر الاسى والحزن والبكاء والدعوة للثورة على الظلم والاستبداد , وتجدر الاشارة الى ان الوعي الشعبي الامامي استأثر سنة الرسول (ص) في الدعوة الى البكاء , ومنها بكائه (ص)على ولده ابراهيم[25] , وايضا حثه لنساء المدينة للبكاء على الحمزة بن عبد المطلب , وكذلك بكاء الزهراء (ع) على ابيها ليل نهار[26] , و بكاء الامام زين العابدين (ع) لسنوات عديدة على ابيه الحسين(ع)[27], اذ ان إبداء الحزن والبكاء في الزيارة هو استنهاضا للامة في الدفاع عن حقها الشرعي , فضلا عن احترام تلك العلاقة الجينية مع الرسول (ص) والذي اشار اليه النص القرآني بقوله تعالى :**(قل لا أسألكم عليه أجرى إلا المودة في القربى)**[28] , و تتضح اشارات عدة حاول الامام (عج) بيانها واظهارها واشاعتها بين ارجاء الامة , بعد ما حاولت السلطة الحاكمة تغييب تلك الاحداث وتمييعها أو أسطرتها وتخريفها لتكون حدثا تاريخيا عابر عفا عليه الزمن , فهذه التوصيفات وشدة دقتها ما هي الا ترميز دال على فضح تلك

الممارسات البغيضة التي عمدت اليها السلطة مع الحسين (ع) وأنصاره واهل بيته , لذا سعى الوعي الشعبي المتفاعل مع هذه التوصيفات الى اشاعة وفضح تلك الافعال الشنيعة للسلطة الاموية من خلال المجالس التابينية للحسين (ع) , او عن طريق الشعر والشعراء , وكذلك من خلال العديد من الممارسات والشعائر التي جسدها بالحزن والعزاء والاسى و عبر الدراما الشعبية للواقعة وتراجيديا السير على الاقدام نحو كربلاء ومواكب العزاء الحسيني وغيرها كما اسلفنا .

فهذه التوصيفات الدقيقة التي اتصف بها خطاب الامام (عج) في زيارته كانت من اهم الدوافع في اشاعة روح الحزن والاسى والذي ترتب عليه توظيف تلك الممارسات والشعائر لإحياء احداث الواقعة وتولدها في وجدان وضمير الامة , لتكون حية متنامية في وعي ووجدان المجتمع الاسلامي , ولا بد من الاشارة الى ان الاخر المؤتلف مع السلطة كانت اصداء الواقعة لديه مهملة ميتة غير حية ؛ وذلك لان الواقعة كانت متأرجحة غير قارَة في وجدانه ؛ وذلك لتقاطعها مع نهج السلطة وطغيانها , ويمكن تعليل ذلك بأن النص العاشوري في سرديته حاضن لفجوات وفراغات تاريخية أتاحت للراوي أن يعمل حسب مرجعياته الأيدلوجية ومليء تلك الحلقات الفارغة بأشكال تتلائم ومشروعه العقائدي, فالمخيل هو نتاج سيرورة سيوسيوثقافية تاريخية , لذا تباين الوعي الشعبي عند الاخر عن وعي ووجدان الضمير الشعبي الشيعي , فقد سعت اقلام السلطة الى تبرئة ساحة السلطة والعمل على انصاع وجهتها من خلال المنهجيات التي اتبعتها في تحريف وتزييف وتشويه ما اكتنزته الواقعة من مضامين جسدت روح الاسلام الحنيف .

وضمن حدود هذا السياق نلحظ صور أخرى حاول الإمام (عج) من خلالها تأكيد الأسى والحزن لما تعرض له الحسين (ع) , اذ تحول خطاب الامام الى وصفه لأهم ما اتصف به الحسين (ع) من صفات جسدت روح الاسلام , فضلا عن التأشير للارتباط الجيونولوجي بالرسول (ص) والاقرار بالصفات الكريمة والسيرة النبوية العطرة , فقد قابل الإمام (عج) توصيفات الحزن والاسى بمكانة الحسين (ع) بقوله :**(وكنت لله طائعا ولجدك محمد (ص) تابعا ولقول ابيك سامعا والى وصية اخيك مسارعا ولعماد الدين رافعا , وللطغيان قامعا وللطغاة مقارعا وللامة قائما وللإسلام والمسلمين راحما وللحق ناصرا وعند البلاء صابرا وللدين كلئا , وعن حوزته مراميا , وعن شريعته محاميا)**[29], ففي هذه الصور أراد الامام (عج) التأكيد على صفات الحسين (ع) وسماته ومكانته في الوعي الجمعي الاسلامي , إذ نراه يصوره (ع) بقوله : **(تحوط الهدى وتنصره وتبسط العدل وتنشره , وتنصر الدين وتظهره وتكف العابث وتزجره وتأخذ للدني من الشريف وتساوي في الحكم بين القوي والضعيف)**, فنجد المقاربة بين هذه الصفات الحميدة التي تجسد روح الاسلام والعقيدة وتؤشر للارتباط القدسي بالرسول وصفاته , وابيه علي (ع) وسماته ,فقد أراد (عج) التأشير الى المكانة الهامة والمنزلة الرفيعة التي يمتع بها الامام (ع) واهل بيته , والذين يمثلون ارث رسول الانسانية (ص), إذ حاول ان يصف مكانة الحسين (ع) وما قابله من ظلم وتعسف وقع عليه (ع) فيقول: **(السلام على ابن خاتم الانبياء السلام على ابن سيد الأوصياء السلام على ابن فاطمة الزهراء السلام على ابن خديجة الكبرى السلام على ابن سدرة المنتهى السلام على ابن جنة المأوى السلام على ابن زمزم والصفا السلام على المرمل بالدماء السلام على المهتوك الخباء)** [30] إذ قارب بين تلك المكانة الهامة التي يتمتع بها الحسين (ع) وما جرى عليه وعلى عياله من قتل وهتك ونهب , فهذه الصور الواضحة تثير وتحفز المشاعر والانفعالات لدى الوعي والوجدان الجمعي , وتشحذ العقل الجمعي نحو السلطة وظلمها والأسس المعتمدة في سياق حكمها ونهجها , وقد حاول الامام (عج) من خلال ما تقدم ان يرسم مشاعر الحزن والاسى والتأسف والتلهف التي تعتريه بوصفه الانا الساردة عبر تصويره للوحة المأساة في حادثة الطف اذ يقول : **(سلام من قلبه بمصابك مقروح , ودمعه عند ذكرك مسفوح , سلام المفجوع الحزين الواله المستكين) حتى يقول: (سلام لو كان معك بالطفوف لوقاك بنفسه حد السيوف وبذل حشاشته دونك للحتوف, وجاهد بين يديك , ونصرك على من بغى عليك ... وروحه لروحك الفداء واهله لا هلك الوقاء)**[31] , اذ نلحظ من ذلك صورة المدافع والمضحي والمتأسي الباكي للحسين (ع) وأهل بيته , وهي صور حية تزرع في وجدان الوعي الاسلامي كل المعاني والمفاهيم النبيلة المتمثلة بالفداء والايثار بالمال والولد والاهل, اكراما لتلك الشخصية الفريدة وما انمازت به من صفات متوارثة عن السلالة النبوية والدوحة المحمدية , اذ شجع ذلك وعي ووجدان المجتمع الشيعي نحو

البذل والعطاء والسخاء لأحياء تلك الشعائر والممارسات حبا للنبي واهل بيته (ع) , والمواسات والتعزية لهم أحياءا لأمرهم كما اوجبه الامام الصادق (ع) بقوله للفضيل بن يسار:(**احيوا امرنا فرحم الله من احيا امرنا)**[32], وهذه الصور التي مثلت حال الامام (عج) تدعو الوعي الجمعي للسير نحو ترسيخ الشعائر والسعي الجاد الى إحياءها وإدامتها لتكون حية متنامية فاعلة , وعبر ذلك تتضح الممارسات الشعائرية التي يبذل فيها اتباع مدرسة اهل البيت الغالي والنفيس من مال وجهد يستمر اضعاف زمن الواقعة الحقيقي ليتسع الى مفهوم عاشوراء المضخم عن اليوم العاشر من محرم , اذ اجتهد الوعي الشعبي في تمديد هذا اليوم الى عشرة ايام من الاول من محرم الحرام الى اليوم العاشر منه ثم ليمتد الحزن والاسى الى العشرين من صفر وهو يوم الاربعين , الذي يمثل السردية الكبرى للزيارة الاربعينية , والتي كانت نموذجا حيا لمسيرة عائلة الامام الحسين (ع) من كربلاء الى الشام ومنها الى مدينة الرسول (ص) , اذ تعد المسيرة الاربعينية اكبر تجمع بشري سلمي في عالمنا المعاصر , والذي يحيه الملايين من المسلمين و باقي الديانات اللذين تجمعوا من كل أقطار العالم , اذ تطوعت لهم الجموع من أنصار مدرسة اهل البيت (ع) في تقديم كل ما يحتاجه زائر الإمام الحسين عليه السلام من خلال تقديم الغذاء والشراب والسكن المجاني بمختلف أنواعه ,فقد بلغ عدد الزوار في الأعوام المنصرمة 25 مليون زائر تقريبا– كما ورد عن العتبة الحسينية -,وهذا ما يؤكد حضور اصداء الواقعة لدى الوعي المجتمعي , وتجدر الاشارة الى أن التصوير الفني في الزيارة لحركة السبايا كان له الأثر الفاعل في تنمية السردية الكبرى للزيارة الأربعينية , والتي تعد انعكاسا واضحا لتلك الحركة وما تضمنتها من عناء واضطهاد وجور وظلم وقع على اهل البيت عليهم السلام عبر المسيرة الظالمة التي أوجبتها السلطة الحاكمة على عائلة الحسين عليه السلام ,عبر السير بهم من أرض الوقعة مرورا بسامراء باتجاه تكريت وعانه وصولا الى القامشلي في الموصل ثم الى بعلبك في لبنان ثم الى الشام عبر رحلة طويلة مضنية عليهم , وقد جسدت حركة الزوار في الاربعينية تلك الحركة الطويلة من رأس البيشة لاخر نقطة من حدود العراق في البحر الى مدينة كربلاء زحفا على الاقدام , ليتمثلوا في حركتهم ما جرى على آل الرسول من بني أمية , إذ إن الزيارة لها أهمية واسعة في تثبيت مشاعر المحبة والولاء للحسين عليه السلام واستذكارا للمصائب والمحن التي تجرعها ركبه (عليه السلام), فإن ديمومة تلك الشعائر تظهر صورة متكاملة للاسلام الجديد عبر أصوات المنادين بقيم ومبادىء الإمام الحسين (عليه السلام)فالزيارة رمز ثوري للتحرر من الظلم , والشعور بالأمن والأمان عبر الاتصال مع الله تعالى , إذ تنمي الزيارة لديهم القيم النبيلة المتمثلة بالتضحية والمحبة والايثار من أجل الاخر , فحركة المشي نحو إمامهم ليست عملية جسمية صامتة تعتمد على الحركة الفعلية للرجلين واليدين , إنما هي تتضمن العناصر والابعاد النفسية ذات الممارسات التفاعلية الرامزة عن نواميس السماء التي دعى اليها أبن رسول الله (صلوات الله عليهم).

وقد اتضح للباحث ان الامام (عج) حاول ان يلون مظاهر الواقعة وصَورها بصور متباينة مختلفة , اذ نلحظ المصائب التي انهالت على الامام (ع) من قتل وتنكيل وجور وانتهاك , اتبعه سلب ونهب وإذلال لحرم رسول الله (ص) والذي صوره بزيارته عبر حركة السبي بقوله :(**وسبي اهلك كالعبيد , وصفدوا بالحديد فوق اقتاب المطايا ... يساقون في البراري والفلوات ايديهم مغلولة الى الاعناق , يطاف بهم في الاسواق ...)**[33],اذ استلهم هذه الصورة من قول السيدة زينب بنت علي (ع) الحاضر الشاهد في الواقعة من خلال خطابها يزيد بن معاوية (**امِنَ الْعَدْلِ يَا ابْنَ الطُّلَقَاءِ تَخْدِيرُكَ حَرَائِرَكَ وَسَوْقُكَ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ سَبَايَا؟؟ قَدْ هَتَكْتَ سُتُورَهُنَّ وَأَبْدَيْتَ وُجُوهَهُنَّ يَحْدُو بِهِنَّ الْأَعْدَاءُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَيَسْتَشْرِفُهُنَّ أَهْلُ الْمَنَاقِلِ وَيَبْرُزْنَ لِأَهْلِ الْمَنَاهِلِ وَيَتَصَفَّحُ وُجُوهَهُنَّ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ وَالْغَائِبُ وَالشَّهِيدُ وَالشَّرِيفُ وَالْوَضِيعُ وَالدَّنِيُّ وَالرَّفِيعُ، لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجَالِهِنَّ وَلِيٌّ وَلَا مِنْ حُمَاتِهِنَّ حَمِيٌّ، عُتُوّاً مِنْكَ عَلَى اللَّهِ وَجُحُوداً لِرَسُولِ اللَّهِ وَدَفْعاً لِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَا غَرْوَ مِنْكَ وَلَا عَجَبَ مِنْ فِعْلِكَ.**) [34]

اذ انعكس من خلال تلك الصور المأساوية التكثيف في اختراع بعض الممارسات والطقوس الشعائرية التي تجسد تلك المظاهر المصورة من قبل الامام في زيارته (عج) , ويتضح ايضا اثر التلون في رسم الحدث على الوجدان الشعبي من خلال ما جاء عن الامام (عج) إذ وثق من خلال الزيارة الكثير من الحوادث التي اختلف فيها المؤرخين , ورصد البعض من الحوادث التي غابت عنهم, اذ تباين في زيارته صور عدة عن

كل الذين سردوا أحداث الواقعة ك (الطبري , الأصفهاني , سبط ابن الجوزي , ابن عساكر, اليعقوبي , الشيخ المفيد , بن شهر اشوب , وغيرهم) , نذكر منها ان حادثة وطء الحسين (ع) من قبل أعدائه قد حدثت بعد مقتله , إلا إن الامام في زيارته هذه قد تباين عنهم جميعا , اذ يصور هذه الحادثة بخطابه له (ع) :(**فلما اركسوك عن جوادك , هويت الى الارض جريحا تطؤوك الخيول بحوافرها** ...)[35] , إذ يصف الحسين (ع) من خلال عملية الوطء بأنه حيا جريحا ,فقد تباين عن كل المقاتل وأرباب التاريخ في هذه الصورة , إذ أجمعت المصادر التاريخية على أن عمر بن سعد قد انتدب بعض الخيول لوطء الحسين (ع) بعد مقتله , فهذه الصورة زرعت الحزن والاسى المستدام في ضمير ووجدان الوعي الشعبي , وترى ايضا صورة اخرى مفعمة بالحزن عندما وصف عيال الحسين (ع) **(وصفدوا بالحديد ايديهم مغلولة الى الاعناق يطاف بهم في الاسواق)**[36], اذ صورت كل المصادر ان الاسارى من عيال الحسين (ع) مربطين بالحبال , وليس مصفدين بالحديد , والتصفيد هو تقييد اليدين مع الرقبة او تقييد اليدين الى الخلف بالسلاسل والاغلال , إذ حاول مدون السلطة التخفيف من وطأة الحدث على المتلقي ؛ ليبعده عن فضاعة وبشاعة الجرم الذي تعرضت له عائلة الحسين عليه السلام , فمن المخجل أن تصفد النساء بالسلاسل والاغلال فضلا عن الاطفال الصغار, لذا حاولوا أن يردوا الخبر بأنهم ربطوا بالحبال ماعدا الإمام السجاد عليه السلام فقد صفد بالحديد كونه رجلا وهو أمرا لا يعاب عليه مرتكبه ,وهنا تتضح اليات خطاب السلطة في التعاطي مع الواقعة بأنه شكل من أشكال التبعية الأيدلوجية , فالسلطة ترى عبر ذلك تبرير شرعيتها من خلال خلق نوع من المسرحة السياسية لإيهام الناس بأنها تنتج الحقيقة التي لا تعلو عليها حقيقة أخرى , وقد ركز الوعي المجتمعي في تلك الشعائر على صورة التصفيد بالحديد للامام السجاد وعائلة الحسين (عليهم السلام) عبر التشابيه التى كانت وما تزال حاضرة في المشهد الشعائري الذي اعتمده الوعي الشعبي في بيان تلك الصور المأساوية التي تعرض لها الامام وعائلته عليهم السلام .

وهناك صورة أخرى بينتها الزيارة ولم يلتفت اليها حتى الخاصة من مدوني الواقعة اذ يصور لنا الامام **(عج) : (وقد عجبت من صبرك ملائكة السماوات)** , اذ لم تذكر لنا أي مصادر الواقعة هذه الصور المتخيلة التي تعلي من شان الامام (ع) , فان هذا التباين والاختلاف مع رواة الواقعة هو إشارة الى مظاهر التزييف والتحريف الذي وقع على أحداث واقعة عاشوراء من السلطة وأقلامها المأجورة كما أشرنا, اذ كشفت صور الزيارة كل مشاهد الظلم والهتك والتنكيل والتعسف الذي جرى على عيال الحسين (ع) , وهذا ما يؤشر حالة الأسى والحزن الطويل والمستدام الذي ركزعليه الامام (عج) في زيارته , فان نص الزيارة له مجال منهجي لا يعرف النهايات ولا تحده التقسيمات فهو إيقونة مفتوحة على عدد لا متناهي من المعاني والدلالات؛ لأنه بناء بلا إطار ولا مركز , فنص الزيارة يتميز بالحركة والفاعلية المستمرة وينطوي على تعددية المعنى)[37], لذ كانت صوره المتباينة لها مصاديق ومدلولات أوجدها النص , وأراد من خلالها فضح كل الاساليب والممارسات التي انتهجتها السلطة الحاكمة ضد الحسين (ع) ونهضته , اذ ان الامام حاول من خلال ذلك المحافظة على احداث الواقعة من منهجية الماكنة الاعلامية العدائية التي اعتمدتها السلطة الحاكمة وطرقها الملتوية للحط من قيمة الواقعة , وافراغ محتواها من معناها الحقيقي بطرق شتى كما اشرنا , ويمكن ان تعد هذه الصورة الفنية المفعمة بالحزن والاسى هي خطاب للضمائر الحية والانسانية جمعاء لإرساء دعائم العدالة في ارجاء المعمورة , ونبذ كل نماذج الظلم والتعسف والسعي الجاد للوقوف بوجه السلطة الظالمة , من خلال شحذ الهمم في وجدان الوعي الشعبي لمناهضة هذه الحكومات الظالمة والسعي الجاد للقضاء عليها , واراد الامام (عج) ايضا بيان المكانة الهامة المحاطة بالقداسة والتبجيل للإمام الحسين (ع) , عبر البدء في الزيارة بالسلام على الانبياء والمرسلين من ادم (ع) ثم الانبياء اولي العزم وانتهاء بالائمة (ع) اصحاب الكساء , اذ قال فيهم رسول الانسانية (ص) في حديث السفينة:**(مثل اهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها ظل وهوى)**[37] , لذا حاول الامام (عج) من خلال ذلك تصوير الارتباط القدسي للحسين (ع) بالأنبياء والمرسلين , وهذا ما يعظم المصاب الذي جرى عليه وعلى عياله وأنصاره , إذ يصور ذلك بصور عدة منها (**السلام على النفوس المستلبات السلام على الارواح المختلسات السلام على الأجساد العاريات السلام على الأعضاء المقطعات السلام على الرؤوس المشالات**)[38] , وهنا حاول ان يدقق في صورة

القتل للروح والجسد , ليعظم من جرم السلطة ووحشيتها , وليؤكد ابتعادها عن النهج الاسلامي الحنيف الداعي الى ترسيخ التراحم والتواد والعدل والإنصاف للرعية , وفي موضع اخر يقول: (**السلام على المنحور في الورى**) أي المذبوح امام الناس ظلما من دون اعتراض او رفض من قبل المجتمع الاسلامي , وهي بطبيعة الحال جريمة كبرى يندى لها جبين الانسانية أن يقتل أبن بنت رسول الله صلوات الله عليه واله وسلم بهذه الوحشية أمام أنظار المسلمين دون تحريك ساكن إلا محاولة الحر بن يزيد الرياحي الذي وقف بوجه الجيش الاموي ويعلن انقلابه عليهم بالعدول الى معسكر الحسين عليه السلام والقتال بين يديه , وفي صور اخرى يقول (عج):(**السلام على الدماء السائلات السلام على الجسوم الشاحبات...السلام على القتيل المذلول السلام على اخيه المسموم السلام على علي الكبير السلام على الرضيع الصغير**)[39], فالفاجعة الكبرى تكمن في عظيم الموقف الذي تعرض له الحسين (ع) في مقتل أخوته وبنيه بما فيهم الرضيع الصغير , اذ ان هذه الصور الغائرة في متون الزيارة ما هي الا دروس واعية عززت الارتباط ما بين الحسين (ع) وأنصاره من اتباع مدرسة اهل البيت (ع) بوجه خاص , والمسلمين بوجه عام , وان هذا الارتباط جسد صور عديدة مخترعة من الوعي الشعبي لأحياء تلك الواقعة والمحافظة عليها على مر الازمنة والدهور, والدفاع عنها من الهمجية الظالمة التي حاولت دفن احداثها بين كثبان الطف , فتلك الشعائر ما هي إلا مناخ مناسب لمعارضة الواقع السياسي والإحتجاج عليه , فهي تشكل الأنموذج السياسي الثائر على الظلم في كل زمان ومكان , إذ تحفز الوعي الجمعي لمقارعة الإستبداد والطغيان , إذ إن استثارة الماضي ستؤدي بالضرورة الى استنهاض الحاضر وتأويله وتغيره , والحديث الحماسي عند (مطهّري) يبعث في الروح موجات من الإندفاع والإحساس بالعظمة والغيرة والحمية للدفاع عن العدالة الإنسانية في كل زمان ومكان , وهذا الأمر يرعب السلطة الحاكمة الظالمة[40]

الا ان الوعي والوجدان الشعبي حاول بكل تفان من مقاومة الهجمات الاعلامية الممولة من السلطة بإحياء اثار تلك الواقعة على مر الدهور,بالرغم من كل الاجراءات التعسفية التي واجهها اتباع مدرسة ال البيت للحيلولة دون ذلك , فالطقس ما يلبث حتى يعود الى التأثير على المعتقد فيزيد من قوته وتماسكه بما له من طابع جمعي يعمل على تغير الحالة الذهنية والنفسية للأفراد وهذا الطابع هو الذي يجدد حماس الافراد ويعطيهم الاحساس بوحدة ايمانهم ومعتقدهم , فمميزات النص العاشوري انه نص تراثي شديد التأصيل والارتباط بالموروث الجمعي العربي الاسلامي وعوالمه التخيلية والرمزية والذي يعد لونا من الوان التعبير عن الضمير الجمعي [40].

ويتضح ان الامام (عج) قد تحسس عن قرب مضاضة الالم والحسرة بتجلد وصبر, تعتصره الحرقة ويهده هول المطلع , إذ استشعر وحده الحسين (ع) وغربته وعطشه وتقطيع أوصاله , وشهادة اطفاله واصحابه مجدلين على رمضاء كربلاء بقوله : (**تنهشها الذئاب العاديات وتختلف اليها السباع الضاريات**), وتترحم وتتصدق على أجسادهم بما رأتهم في صعيد كربلاء القبائل القريبة من ارض الواقعة اذ يصور ذلك (**السلام على من دفنه أهل القرى**) , فهذه الصورة المأساوية قد جرت على ابن بنت رسول الله (ص) واحد أعمدة الأمة المدافع والمحامي عنها وأمضى سيوفها الذي صوره(عج) (**فلما بدؤك الحرب ثبت للطعن والضرب وطحنت جنود الفجار واقتحمت قسطل الغبار مجادلا بذي الفقار كأنك علي المختار**)[41], وهي صفات الحسين (ع) حاول الامام (عج)انصاع واظهار صورتها للمجتمع الاسلامي والدفاع عنها من السلطة واقلامها , فقد صوره (الاصفهاني) ان الامام الحسين (ع) : (بعدما قتل اصحاب الحسين (ع) واهل بيته وقف متحيرا فجاءه شريك الأعور وطعنه في صدره وضربه خولى على يده فقطعها وجاءه سنان فقتله واخذ راسه)[42] اذا عبرت أقلام السلطة الحاكمة عن أمانيها عبر اليات الاختصاروالتعتيم التي تتضح عبر ابراز تشويه صورة الحسين (ع) الحقيقية والسعي الجاد للحط من قيمته المادية والمعنوية عبر تلك الصورة التي رسمت الحسين (ع) بأنه كالأسير المرتهن وحاشا ان يكون ابن علي ابن ابي طالب هكذا , إذ تتضح براغماتية الاصفهاني المرتبطة في عملية الوقوف مع السلطة العباسية , إذ أراد تزييف الحقائق وتغييبها القسري أو أختراع تاريخ سري ينفصل كليا في أحداثه ورواياته عن تاريخ السلطة ؛ليعيد انتاج نصوص مختلقة وفق خصوصية تنتمي إلى أزمته , فمن الجدير بالذكر ان الحسين (ع) قد أوغل في معسكر ابن زياد قتلا تنكيلا , اذ صور لنا ذلك قول الامام (عج) (**وطحنت جنود الفجار**

واقتحمت قسطل الغبار مجادلا بذي الفقار كأنك علي المختار) , فالصورة الناصعة التي جسمها الامام في زيارته (عج) قد اعطت للوعي والوجدان الشعبي صورة البطل المجادل بسيف علي (ع) , اذ انهم لم يواجهوا الامام (ع) بالقتال وانما بالحيلة والخداع والمكر كما يصوره (عج)(**فلما رأوك ثابت الجأش غير خائف ولا خاش نصبوا اليك حبائل مكرهم وقاتلوك بكيدهم وامر اللعين جنودهم فمنعوك الماء وورودة)** , فهذه الصورة الواضحة للعيان أيقظت مضاجع السلطة (الاموية والعباسية) , لذا حاولت مرار وتكرار قلبها وتشويه حقيقتها وذلك بتشويه صورة الحسين (ع) وإعلاء شأن معسكر السلطة , اذ يصرح في ذلك عبد الله بن ربيعة الحميري بقوله : (اني لعند يزيد بن معاوية فقد اقبل زحر بين قيس فقال له يزيد ما ورائك قال : ابشر ياامير المؤمنين بفتح الله ونصره ..... واخذ يصف اليه حال القوم فقال : فغدونا عليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى اذا اخذت السيوف مأخذها من هام القوم , جعلوا يهربون الى غير وذود ويلوذون منا بالإكام والحفر لواذ الحمام من الصقر)[43], فمن أولويات السلطة طمس معالم النهضة الحسينية عبر تنشئة الأجيال على تلك المحرفات والأكاذيب والأباطيل ؛ لإماتة روح الثورة والتمرد على الظلم والطغيان ,إذ روجت السلطة أحداث لم تحصل البتة في التاريخ , ولكن بحكم تداولها في المؤسسة الرسمية لتكون جزءا من تاريخ المسلمين؛ لتبعد أنظار العامة عن تلك القيم العليا التي اثبتها الحسين (ع) في ضمائر الامة , فضلا عن استعمال السلطة كل الوسائل الكفيلة بتكوين المتخيل الجمعي والذي يعلي من شان الذات (السلطة) , ويقدم الأخر (نهضة الحسين (ع)) في إشكال ومظاهر منتقصة متدنية ضعيفة , فضلا عن الشروع بتحفيز الخاصة والعامة للإيمان بعدوانية الاخر(انصار مدرسة اهل البيت) , لتحقيق الشرعية للسلطة الظالمة, والقضاء على الامام الحسين (ع) وعلى منهجه السماوي الاصلاحي , اذ كانت نصوص السلطة تخدم ايديولوجيا الموقف الرسمي الداعي الى نبذ الخروج على ولاة الامر, لذا نرى موقف الوعي المجتمعي للآخر مترددا متذبذبا إزاء أحداث كربلاء , فقد حاول الاخر المنتفع من السلطة سد الفراغ الحاصل من الانهزام الروحي والاجتماعي والسياسي عبر إبعاد حدث الوقعة عن الوعي التاريخي الانساني , ليكون حدثا اسطوريا مخرفا يبتعد عن الحقيقة والواقع ؛ ليحل محل تلك الهزيمة التي تعرضت لها السلطات الظالمة , فموقف رواة النص من الواقعة يحيى بحياة المجتمع الذي تنشئ في ربوعه , فتصطبغ سيرة البطل بالفضاء العقائدي الحاضن له , وتتغير وفق الشروط التي يمليها الانتماء العقائدي على المؤرخ , فهذه الصورة المشوهة والمحرفة لم تقلق او تثني من عزيمة انصار مدرسة اهل البيت , وذلك لوجود الصورة الناصعة والحقيقية التي جسدها الامام (عج) بزيارته كما اشرنا , فمن منطلق النقد الثقافي ان البعد الشعبي لا يموت بل يظهر ويتجدد حين تلوح له الفرصة المناسبة, ويتشكل في مظاهر متعددة ,بينما يموت ويضمحل ويندثر الرسمي والنخبوي بمرور الزمن فثقافة (ما بعد الحداثة) تطمح الى تدمير المراكز وتسعى الى رفع شان الهوامش , وتسليط الضوء على الثقافة الشعبية والدينية وهذا ما يفسر اختفاء وانمحاء أحداث تاريخية وبقاء أخرى متوارثة من الاجيال تتعلق بالثقافة الشعبية , فالحوادث التاريخية المحضة تكون عرضة للانمحاء والاختفاء , بينما الحدث المنتقل سوسيوثقافيا يحفظ في الذاكرة والوعي الشعبي, ويبتكر لها فعاليات لحفظها وديمومتها في التاريخ[44],اذ إن ذلك من اهم أغرض الامام (عج) في زيارة الناحية المقدسة , ومن هنا نستطيع القول إن العزاء الحسيني المتمثل بعاشوراء أصبح نسقاً شعبياً لا يمكن التقليل من شأنه ومن نتائجه , لأنه يعمل على تعزيز التلاؤم مع المبادئ والقيم التي تفرزها , والتي من الممكن ان تتخطى الواقع وتخترق النظم المسيطرة وتتخذ مواقف مقاومة وضغط ملائم ، فقد كانت الزيارة المزيج الرائع من المودة الصافية والمعرفة واللوعة الممزوجة بالرغبة , وتركيب من المعارف الوجدانية التي تثير في الضمائر إحساسا بالمسؤولية , فضلا عن حالة الانكسار والحرقة والتأسف لما جرى على ابن بنت رسول الله (ص), والتي تزرع في والوجدان الشعبي اسمى الصور لمقام الامام الشهيد , لذا يمكن ان نَعُدُّ حجم الهجمة الواسعة على الناحية المقدسة, ما هي الا احدى السبل التي حاولت السلطات الظالمة اتباعها, اذ استطاعت ان تؤثر حتى على البعض من اتباع مدرسة اهل البيت (ع) , فنرى الفكر الشيعي يحاول ان يبتعد عن نصوص الناحية بحجج واهية , نذكر منها وصف النساء بقوله : (عج) (**خرجن من الخدور ناشرات الشعور)** وهي صفة لا تلاؤم بنات الرسالة , إلا ان ذلك يمكن ان يعلل بأمور عدة منها يحتمل ان كلمة (**ناشرات**) قد حُرِّفتْ عن **(فاقدات)** أي فاقدات الشعور , او أن اللائي خرجن كانوا من نساء الانصار وليس من نساء الحسين

(ع) , وغيرها من الاحتمالات وهي اشكاليات لا يعتد بها مقارنه بنصوص الناحية وما تحمله من معان بليغة ومحتوى هام من الافكار والمفاهيم والصور الحية المعبرة عن حجم المأساة وبشاعة موقف السلطة الاموية من نهضة الحسين (ع). .

الخاتمة :

اجمع مدونو مرويات عاشوراء أنها لم تكن اختراعا ارضيا أو وضعا نابعا من أخيلة الوعي الشعبي , بل هي مرويات تاريخية ثابتة وموثقة بالروايات الصحيحة , إلا إنها تباينت في البعض من صورها وفقا للضرورة الأيديولوجية النابعة من رحم التباين الثقافي الذي ينتمي اليه المدون .

وزيارة الناحية إحدى نصوص الواقعة التي جسدت عاشوراء بصورة حية نابعة من فيض وجدان الإمام المهدي (عج) , الذي نلتمس منه معاني الحزن والأسى لما حل بأبن بنت رسول الله (ص) , لتكون الناحية المقدسة المصدر الهام في سرد أحداثها , فضلا عن الظروف والملابسات التي أحاطت بها , اذ رسخت معاني كربلاء في الوعي الشعبي وما تعرض لها الامام الحسين (ع) من سياسات ظالمة , لذا كانت وما تزال ذا اثر فاعل في تنمية ونبوغ الوعي الشعبي في استدامت أصداء كربلاء على مر الدهر . بالرغم من كل الأساليب والممارسات التي انتهجتها السلطة للحيلولة دون ذلك , فنص الزيارة كان ومازال المصدر الناصع والحقيقي لكربلاء الذي فض غبار التزييف عنها , اذ يعد الوجه الصادم لنهج السلطة وجبروتها فقد واجه ذلك الطغيان بهذه الصورة الناصعة لحقيقة الواقعة على مِر الأزمنة وتقادم الأيام , لتكون راية خفاقة في سماء الوجدان الشيعي ، لتنصف كربلاء وتجعلها راسخة في الوعي الجمعي , إذ لم تستطع كل الحكومات الظالمة تغيير وجهتها وانحراف منهجها الذي دعا له الحسين (ع) بقوله : **(إني لم اخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي كي آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر)** . ومن هنا نستطيع القول إن العزاء الحسيني المتمثل بعاشوراء أصبح نسقاً شعبياً لا يمكن التقليل من شأنه ومن نتائجه , لأنه يعمل على تعزيز التلاؤم مع المبادئ والقيم التي تفرزها , والتي من الممكن ان تتخطى الواقع وتخترق النظم المسيطرة وتتخذ مواقف مقاومة وضغط ملائم.

ومن منطلق النقد الثقافي ان البعد الشعبي لا يموت بل يظهر ويتجدد حين تلوح له الفرصة المناسبة, ويتشكل في مظاهر متعددة ,بينما يموت ويضمحل ويندثر الرسمي والنخبوي بمرور الزمن فثقافة (ما بعد الحداثة) تطمح الى تدمير المراكز وتسعى الى رفع شان الهوامش , وتسليط الضوء على الثقافة الشعبية والدينية وهذا ما يفسر اختفاء وانمحاء أحداث تاريخية وبقاء أخرى متوارثة من الاجيال تتعلق بالثقافة الشعبية , فالحوادث التاريخية المحضة تكون عرضة للانمحاء والاختفاء , بينما الحدث المنتقل سوسيوثقافيا يحفظ في الذاكرة والوعي الشعبي, ويبتكر لها فعاليات لحفظها وديمومتها في التاريخ , لذا سعى الامام من خلال ذلك المحافظة على احداث الواقعة من منهجية الماكينة الإعلامية العدائية التي اعتمدتها السلطة الحاكمة وطرقها الملتوية للحط من قيمة الواقعة , وإفراغ محتواها من معناها الحقيقي بطرق شتى كما اشرنا , ويمكن ان تعد هذه الصورة الفنية المفعمة بالحزن والاسى هي خطاب للضمائر الحية والانسانية جمعاء لإرساء دعائم العدالة في ارجاء المعمورة , ونبذ كل نماذج الظلم والتعسف والسعي الجاد للوقوف بوجه السلطة الظالمة , عبر شحذ الهمم في وجدان الوعي الشعبي لمناهضة هذه الحكومات الظالمة والسعي الجاد للقضاء عليها.

لذا يأمل الباحث الغور في نصوص تلك الزيارة ودراستها وفق المنهج الحداثوي بدراسات أكاديمية فاعلة تنصع صورة الواقعة للمتلقي تلك الصور الخالدة التي رسمها الحسين (عليه السلام) في كربلاء ؛ لتكون مرجعا ثقافيا فاعلا لذلك الحدث الهام الذي كان وما يزال يصدح في أسماع الأمم والشعوب الثائرة والمظلومة .

الهوامش :

01الوافي , الفيض الكاشاني ,ج3 , 859

02شبكة الامام الرضا (ع) , شرح زيارة الناحية , السيد حبيب بن حبيب الله الموسوي , holynajaf.net.

03 المزار الكبير , ابن المشهدي , 496-519

04بحار الأنوار , العلامة المجلسي ,ج98 , 317

05اعيان الشيعة , ابن خلكان , ج8 , 219

06مصباح الزائر , ابن طاووس , 221

07 المزار الكبير , ابن المشهدي , 496-519

08 الصحيفة المهدوية , السيد مرتضى المجتهدي السيستاني , 203

09 نفس المهموم , الشيخ عباس القمي , 233

010المصدر نفسه

011 ينظر : نفس المهموم , 230-240

012 الأحزاب , 33

013 جامع الأصول , ابن الأثير , ج1, 178

014 تجليات النص , ماجد الحسن , 94

014الارشاد , الشيخ المفيد , 202

015تاريخ الطبري :206/6

015عاشوراء النص والوظيفة وإمكانية التعبير , مجموعة علماء : 84

015 بحار الأنوار , المجلسي , جزء151 , 269 .

016نقد ثقافي أم نقد أدبي , عبد الله الغذّامي : 152.

016 بحار الأنوار ,ج98 , 8010 .

017عاشوراء النص والوظيفة وإمكانية التعبير , مجموعة علماء : 84.

017 عيون أخبار الرضا , الشيخ الصدوق , ج2 , 268.

018 سرديات عاشوراء , غانم حميد الزبيدي ,مجلة المنهج , عدد 27 .

019 بحار الأنوار , المجلسي , جزء151 , 269 .

020 تجليات النص , ماجد الحسن , 94-100.

021 الندب هو ما يصاحب الرثاء من أنين وحسرة /لسان العرب , ابن منظور.

022 سرديات عاشوراء , غانم حميد الزبيدي ,مجلة المنهج , عدد 27.

023 المصدر نفسه.

024 بحار الأنوار , المجلسي , جزء151 , 269 .

024دين الإنسان , فراس السواح ,55/4.

025 رشفات من زيارة الناحية , شبكة جنة الحسين , www.jannatalhusain.net

026 المصدر نفسه

027 رشفات من زيارة الناحية , www.jannatalhusain.net

028 الشورى , 23

029 بحار الأنوار , المجلسي , جزء151 , 269 .

030 المصدر نفسه .

031 بحار الأنوار , المجلسي , جزء151 , 269 .

032 عيون أخبار الرضا , الشيخ الصدوق , ج2 , 268

033 بحار الأنوار , المجلسي , جزء151 , 269 .

034السيد ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص 181 وما يليها.

035 بحار الأنوار , المجلسي , جزء151 , 269

036 المصدر نفسه

037 المستدرك على الصحيحين , الحاكم النيسابوري ,2/ 343.

038 بحار الأنوار , المجلسي , جزء151 , 269 .

039الملحمة الحسينية , مطهري ,95/4

040 دين الإنسان , فراس سواح , 55

041 مفاتيح الجنان , الشيخ عباس القمي ,

042 مقاتل الطالبين , الراغب الأصفهاني , 118.

043 دين الإنسان , فراس سواح , 47

044 سرديات عاشوراء , غانم حميد الزبيدي ,مجلة المنهج , ع

أولا: القران الكريم

ثانيا : المصادر

١. الوافي , الفيض الكاشاني , الجزء الثالث ,عطر العترة للطباعة , أصفهان , إيران, 1406.
٢. مقاتل الطالبين , الأصفهاني , مؤسسة الاعلمي , بيروت , لبنان , 2000م.

٣. مصباح الزائر , أبن طاووس , الجزء الاول , مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث,العراق , 1416.
٤. عيون أخبار الرضا (ع) ,الصدوق ,الطبعة الاولى , تحقيق :مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث, قم , ايران, 1431.
٥. جامع البيان عن تاويل القران , الطبري , الجزء الثاني, الكطبعة الاولى , دار الهجرة , القاهرة , مصر , 2002م.
٦. الصحيفة المهدوية , مرتضى المجتهد, الجزء الخامس , الطبعة الاولى , مؤسسة الماس للطبع , قم , ايران , 1433.
٧. جامع الاصول في أحاديث الرسول , أبن الاثير الجرزي , الجزء السابع, الطبعة الثالثة , دار أبن كثير للطباعة والنشر , دمشق , سوريا , 2016م.
٨. مستدرك سفينة النجاة , الشاهروودي , الجزء السابع , الطبعة الثالثة , مؤسسة النشر الاسلامي, قم , ايران , 1418.
٩. المزار الكبير , ابن المشهدي, الجزء الاول , الطبعة الاولى , مؤسسة النشر الاسلامي , قم, ايران, 1419.
١٠. دين الانسان , فراس السواح , الطبعة الخامسة , دار علاء الدين , دمشق ,سوريا , 2005م
١١. الوافي , الفيض الكاشاني , الجزء الاول , مطبعة أصفهان , أصفهان , ايران, 1312.
١٢. نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم ,عباس القمي , الطبعة الاولى , الاعلمي للمطبوعات , بيروت ,لبنان , 2024م.
١٣. أعيان الشيعة , محسن الامين العاملي , الطبعة الاولى , بيروت , لبنان, 1983م.
١٤. بحار الأنوار , المجلسي, الجزء98, الطبعة الثانية , مؤسسة الوفاء , بيروت , لبنان, 1983م.
١٥. تجليات النص , ماجد الحسن , الطبعة الاولى , المركز العلمي العراقي, 2014م.
١٦. سرديات عاشوراء , غانم حميد الزبيدي ,مجلة المنهج , عدد27.
١٧. دين الإنسان , فراس السواح , دار علاء الدين, دمشق , سوريا , ط1, 1994م.

18- اللهوف في قتلى الطفوف, السيد ابن طاووس(664)، مؤسسة البلاغ , بيروت , لبنان , 2005م.

19- المستدرك على الصحيحين , الحاكم النيسابوري (405) الجزء 2,دار المعرفة , بيروت , لبنان .

20- الملحمة الحسينية , مطهري ,الجزء 4, الطبعة 3 , المركز العالمي للدراسات , بيروت , لبنان , 1002م.

21- مقاتل الطالبين , ابي فرج الاصفهاني, تح: أحمد صقر, المكتبة الحيدرية , نجف , العراق , 1432.

22- مفاتيح الجنان , عباس القمي , تح :علي ال كوثر ,طباعة مدينة مشهد , 1344.

الدوريات :

1- رشفات من زيارة الناحية , شبكة جنة الحسين , www.jannatalhusain.net

2-0شبكة الامام الرضا (ع) , شرح زيارة الناحية , السيد حبيب بن حبيب الله الموسوي , holynajaf.net.